بعدَ انتظارٍ طويلٍ طويل، استقرَّتْ أمامَ بابِ الشِّقَّةِ السُّفْلِيَّةِ في العِمارةِ. قَرَعَ الرَّجلُ الجَرَسَ مرّةً ومرّتين وثلاثًا، وأَصاخَ السَّمْعَ مُنْتَظِرًا، وحينَ لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ عَلَيْهِ غادَرَ مُنْصَرِفًا، كلمةُ (مُبارَكٌ) على سَطْحِ الكَرْتونَةِ تثيرُ التَّساؤُلَ والشَّهِيَّةَ والفُضولَ، سُكّانُ العِمارَةِ قَلَّما يَتَزاوَرونَ، وإذا ما الْتَقَوا عِندَ البابِ الرَّئيسِ يتفاجَؤونَ، وكأَنَّهمْ لا يَسْكُنونَ عِمارةً واحِدَةً، يَتَسايَلونَ على الدَّرَجِ مِثْلَ سوائِلَ فَقَدَتْ وَظائِفَها الحَقيقِيَّةَ في الحياةِ؛ بارَحَتْهُمْ حَميمِيَّةُ الجيرانِ المَعهودَةُ، الابتساماتُ العفويَّةُ، التَّحِيَّةُ البريئَةُ، المجامَلَةُ السَّريعَةُ. عِمارةٌ لها بابٌ واحدٌ، ولَكِنَّ مَشاعِرَ سُكّانِها مُوَزَّعَةٌ على سُقوفٍ مُنْفَصِلَةٍ. الكَرْتونَةُ عالَمٌ وَرَقِيٌّ غامِضٌ داهَمَهُمْ، شَوْكَةُ الأَسْئِلَةِ الحادَّةُ وَخَزَتْ جِسمَ العِمارةِ، الكَرْتونَةُ هَبَّةُ ريحٍ مُتَسَلِّلَةٌ إلى فَضاءاتٍ تخلو من الاسْتِثْناءِ، هيَ صَرخَةٌ مُباغِتَةٌ في زاوِيَةٍ صامِتَةٍ، مَضَتْ سنواتٌ رَتيبَةٌ عَلا فيها صَدَأُ (العاديَّةِ) على النُّفوسِ، وتَحَوَّلَتِ العِمارةُ إلى صندوقٍ خالٍ من الدَّهْشَةِ وارْتِعاشاتِ الحَياةِ. مرَّ أولُ ساكِنٍ منْ سُكّانِ العِمارةِ بالكَرْتونَةِ المُتَرَبِّصَةِ، عايَنَها، لم يَعتدْ على رُؤيَةِ مِثْلِ هذا الشَّيْءِ، مَسَحَ نَظّارَتَهُ السَّميكَةَ، وَحَمْلَقَ بالكَرْتونَةِ، عَلِقتْ عَيْناهُ بِكَلِمةِ (بَرْدٌ) على أحدِ جوانِبِها، بَدَتِ الحيرَةُ على وَجْهِهِ حَوْلَ مَعْنى هَذِهِ الحُروفِ، ارْتَقَتْ نَظَراتُهُ إلى كَلِمَةِ (مُبارَكٌ) تَساءَلَ: ماذا يَعني هَذا؟ باوَصَ بِعَيْنَيْهِ وهُوَ يُميلُ بِرَأْسِهِ يَمينًا وشِمالًا، ثُمَّ أَخَذَ يُقَلِّبُ شَفَتَهُ السُّفْلى دِلالَةَ عَدَمِ الفَهْمِ، الفُضولُ إلى وِقْفَةِ جارِهِ، لمْ يُسَلِّمْ أَوْ يَتَكَلَّمْ، راح يتأَمَّلُ الكَرْتونَةَ وَيُرَحِّلُ بَصَرَهُ بَيْنَها وبَيْنَ جارِهِ الَّذي لا يَعْرِفُ اسْمَهُ، الْتَقَطَ كَلِمةً عَلى الكَرتونَةِ، وَصارَ يُقَلِّبُها بَيْنَ شَفَتَيْها (كَسْتَناءٌ)، تبادَلَ الرَّجلانِ نظراتٍ باردةً، وخَرَجا مُتَتابِعَينِ، الْتَفَتا مَرّاتٍ عَديدَةً إلى الخَلْفِ، الكَرتونَةُ تَرْسُمُ أَسْئِلَتَها عَلى وَجْهَيهِما، لَمْ يَبْتَعِدا كَثيرًا، وإنَّما وَقَفَ كُلٌّ مِنْهُما على طَرَفِ الشّارِعِ، عُيونُهُما مُسَلَّطَةٌ عَلى العِمارَةِ، والكَرْتونَةُ وِسْواسٌ في رَأْسَيْهِما. اقتربتْ سيّدةٌ وابْنَتُها الصَّبِيَّةُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ، عَرَفَتْ أَنَّهُما مِنْ سُكّانِ العِمارَةِ، طَأْطَأَتْ رَأْسَها، وَمَرَّتْ دونَ كَلامٍ، قَلَّبَتْ كَفَّيْها مُتَسائِلَةً عَمّا أَصابَهُما؟ ما الَّذي أَوْقَفَهُما هذهِ السّاعَةَ في هذا المَكانِ؟ هَلْ يَنْتَظِرانِها؟ دَخَلَتِ العِمارَةَ وَشَيْطانُ الاسْتِغْرابِ يَلْعَبُ بِها شَرْقًا وغَرْبًا، ويَسوطُها بِأَسْئِلَةٍ لا تَنْتَهي، عَيْناها تَصْطَدِمانِ بالكَرْتونَةِ إيّاها، أَلْوانُها لافِتَةٌ، والكِتابَةُ عَلَيْها بِخُطوطٍ مُلَوَّنَةٍ، عايَنَتْها بِدِقَّةٍ وَحاوَلَتْ لَمْسَها، لَكِنَّها خافَتْ، ساوَرَها شُعورٌ غَريبٌ، فَهَرْوَلَتْ صاعِدَةً الدَّرَجَ، وَقَدْ عَلِقَتْ كَلِمَةُ (مَطَرٌ) بَيْنَ شَفَتَيْها وَأَسْنانِها وَلِسانِها، صارَتْ تُحسِّبُ وتُخَمِّنُ: هَديةٌ لِجارَتِنا، قَدْ تَكونُ شَيْئًا آخَرَ، رُبّما قُنْبُلَةٌ. «أعوذُ باللّه، أعوذُ باللّه»، خافَتْ مِنْ هذهِ الخواطِرِ وابتعدَتْ صاعِدَةً وهيَ تَرْشُقُها بنَظَراتٍ هَلِعَةٍ، في ذاتِ الحينِ اقتربَ ساكِنٌ آخرُ مِنَ الكَرْتونَةِ، وحَنى ظَهْرَهُ لِيَقِفَ على سِرِّها، الجارَةُ فتحَتِ البابَ، ثُمَّ انْطَبَقَ بِقُوَّةٍ، التَزَمَ الرَّجُلُ الهُدوءَ واللّامبالاةَ، وراحَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ شَقَّتَهُ، وَإِنَّما دَلّى رأسَهُ مِنْ فَتَحاتِ الدَّرابْزينِ؛ لِيُراقِبَ الكَرْتونَةَ. جَلَبَةٌ مُفاجِئَةٌ قادِمَةٌ مِنَ الطّابِقِ الأَخيرِ، وانْفِتاحُ أَبوابٍ وانْطِباقُها جَعَلَتِ الرَّجُلَ يتوارى خَلْفَ بابِ شِقَّتِهِ الّذي جَعَلَهُ مُوارِبًا، وَهُرِعَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مُسْتَفْسِرَةً فَأَخْبَرَها بالْقِصَّةِ، وَشَدَّها الفُضولُ للخروجِ، ولكنَّهُ مَنَعَها. أصواتٌ وضَجيجٌ في الطّابِقِ الأَرْضِيِّ، العِمارةُ منذُ سِنينَ لَمْ تشهدْ مِثلَ هذهِ الحَرَكَةِ، حَلْقَةُ الفُضولِ حَوْلَ الكَرْتونَةِ تَتَّسِعُ، هَمْهَمَةٌ مُشْتَرَكَةٌ: «هذهِ الكَرْتونَةُ غامِضَةٌ وما فيها خَطيرٌ»، كَلِمَةُ (مُبارَكٌ) مَعَ بعضِ الأمورِ الأخرى تَعني أَشياءَ غيرَ مَفهومَةٍ. خافوا على جارَتِهِم، لا يَعْرِفونَ أَهِيَ فِي الشِّقَّةِ أَمْ خارِجَها؟ قَرَعَ أَحَدُهُم الجَرَسَ، لا أَحَدَ هُناكَ، أَيْنَ تَعمَلُ؟ ما هُوَ عُنوانُها وهاتِفُها؟ صَمْتٌ مُطْبِقٌ يَلُفُّهم جَميعًا، انْتَظَروها إزاءَ بابِ العِمارَةِ ساعاتٍ طويلةً. لا يَعْرِفونَ مِنْها إلّا بَسْمَتَها، ونَضارَةَ وَجْهِها البَشوشِ، هِيَ وابْنُها يعيشانِ في هذهِ الشِّقَّةِ مُنْذُ زَمَنٍ، هذا كُلُّ ما يَعْرِفونَهُ عَنْها، هِيَ لا تَعْرِفُهُمْ، وَلا تَحْفَظُ أَسْماءَهُمْ بِقَدْرٍ، ولا تَخْطو خُطوَةً واحدةً إلّاأَوْ أَلْقابَهُمْ، أمامَ عَيْنَيْها هَدَفٌ سامٍ هُو ابنُها، تَرعاهُ بِحُنُوٍّ؛ ليكونَ على مِنوالٍ تُريدُهُ، لا تتحرَّكُ إلّا بِعَقْلٍ. أَوْقَفَتْ سَيّارَتَها حَيْثُ توقِفُها دائِمًا، اقتربَتْ مِنْ بابِ العِمارَةِ، والسُّرورُ يَفْرِدُ أَجْنِحَتَهُ على وَجْهِها، عَيْناها تَقَعانِ على سُكّانِ العِمارَةِ الّذين بَدَؤوا يَلْتَفّونَ حَوْلَها، عُيونُهُم مُصَوَّبَةٌ إلى عَيْنَيْها، «ماذا جرى؟ ما أصابَهُم؟ لمْ يَكونوا هكذا! » تَنْثالُ مِنْ داخِلِها أَسْئِلَةٌ مُفاجِئَةٌ، العِمارَةُ هيَ ذاتُ العِمارَةِ الَّتي تَسْكُنُها، وَهذهِ ساحَتُها، والشّارِعُ المُؤَدّي إِلَيْها، «لا، لا، أنا لستُ تائِهَةً ». أسرَعَتْ تجاهَ بابِ الشِّقَّةِ، وقعَ نَظَرُها عَلى الكَرْتونَةِ، فابْتَسَمَتْ، قَرأَتْ ما كُتِبَ عَلَيْها فاتَّسَعَتْ بَسْمَتُها، عُيونُهُمْ مُتَسائِلَةٌ وشِفاهُهُمْ مُطبِقَةٌ على سُؤالٍ غاطِسٍ في الصَّمْتِ، «ما الأمرُ؟ » فَتَحَتِ البابَ، وسَحَبَتِ الكَرتونَةَ إلى الدّاخِلِ، وَأَغْلَقَتْهُ. «ياه، ما أجملَ غِلافَهُ! طالَ الانتظارُ يا كَرْتونَتي العَزيزةَ، ولكنَّكِ جِئْتِ أخيرًا. » ابنُها يُبَعْثِرُ نُسَخَ الدّيوانِ فَرَحًا، هَدَأَتْ حَرَكَتُها، عيناه مُتَعَلِّقَتانِ على مِتْراسِ البابِ، سؤالٌ طافِحٌ بالإلْحاحِ: «ما الّذي أَصابَ الجيرانَ؟ أَيَظُنّونَ أنَّ الكَرتونَةَ؟!. » ضَحِكَتْ، كانَتْ تَسْمَعُ لَجاجَهُمْ في الخارِجِ، كانوا يَنْتَظِرونَ، أَخَذَتْ رُزْمَةً مِنَ الْكِتابِ وَراحَتْ تَكْتُبُ عَليها إهداءً مَمْهورًا بِتَوْقيعِها، حَمَّلَتِ ابْنَها الرُّزْمَةَ، وَفَتَحَتِ البابَ، وراحَ يُوَزِّعُ عَلَيْهِمُ النُّسَخَ المُوَقَّعَةَ. مساءَ تهادى الجيرانُ إلى بابِ شِقَّتِها، كُلُّهُمْ يَبْتَسِمونَ، نَظَراتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، أَيديهِمْ تُلَوِّحُ بالسَّلامِ فيما بَيْنَهُم، قَرَعَ أحدُهُمُ الجَرَسَ. لمْ يَطُلِ الانْتِظارُ، رُبَّما كانَتْ تَتَوقَّعُ ذلك، رُبّما كانوا لا يَتَوَقَّعونَ أَنْ تَفْتَحَ لَهُمُ البابَ، وفُتِحَ البابُ والبسمةُ ذاتُها تَنْفَرِشُ على وَجْهِها، بَشَّتْ لَهُمْ فَدَخَلوا، كانتْ نُسَخُ ديوانِها بينَ أَيْديهِمْ، نَطَقوا بِلِسانٍ واحدٍ: (مُبارَكٌ) ابتسمَتْ، كانَتْ دُموعُها

Summarized by © lakhasly.com

،السّاحَّـةُ تَحْمِلُ بَشائرَ الفرحِ

Summarized by © lakhasly.com